# مجاوزة هموم الدنيا بطلب الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة:

إن المتأمل في حال الناس يجدهم عند شروعهم في أي عمل لا بد أن يخططوا لهذا العمل بدراسة جادة، وذلك بحسب همومهم، وبحسب أهمية العمل. فالجميع حريصون على أن يخرجوا بعد هذه الدراسة وهذا التخطيط، وعمله ناجحًا بنسبة عالية، فيكون هذا الأمر هو همه الأول والأخير، ولكن هل خطط أحدنا وقام بدراسة جادة مجدية للآخرة، فيكون همه هو نجاحه في الوصول إليها سليمًا من البلايا، وقد جعل مطيته الدنيا غير مُغترٍّ بزخرفها وبهرجتها؛ إن هذا الهم هو الذي ينبغي أن يكون في قلوبنا جميعًا؛ مصداقًا لحديث النبي ﷺ: «من كان همه الآخرة، جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه».(١)

فهل فكر أحدٌ مجرد تفكير فقط في هذا الأمر؟ لا... إلا من رحم الله...

مَنْ منا يُمضي يومه يتذكر فيه مصيره؟! مَنْ منا إذا رأى شيئًا في الدنيا ربطه بآخرته؟! مَنْ منا إذا تحدث بحديث جعل للآخرة نصيبًا منه؟! مَنْ منا إذا فرح، فرح للآخرة. وإذا حزن، حزن للآخرة، وإذا رضي فللآخرة وإذا غضب فللآخرة، وجعل كل حركاته وسعيه للآخرة؟! اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا.

---

١ أخرجه الترمذي (٢٤٦٥).

# عناصر الموضوع:

كثرة هموم الدنيا ومتاعبها.

هم واحد به تطيب حياة المؤمن ألا هو هم الآخرة.

الهَمُّ سلاح ذو حَدَّين.

لِصَاحِبِ الْهَمِّ الْأُخْرَوِيِّ ثَلَاثُ مِنَحٍ ونعم.

ما الهم الأكبر الذي يشغلك؟

نظرة الإسلام إلى الدنيا.

مثل المؤمن كمثل المسافر.

طلب الرزق من الله.

صفات صاحبِ همِّ الدنيا.

صَاحِبُ الْهَمِّ الدنيوي يُعَاقَبُ فِي الْعَاجِلَةِ قَبْلَ الْآجِلَةِ، بِأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ.

حرث الدنيا وحرث الآخرة.

حب المال غريزة فطرية.

حَمْلُ همِّ الآخرة لا يعني الانعزال عن الدنيا.

## كثرة هموم الدنيا ومتاعبها

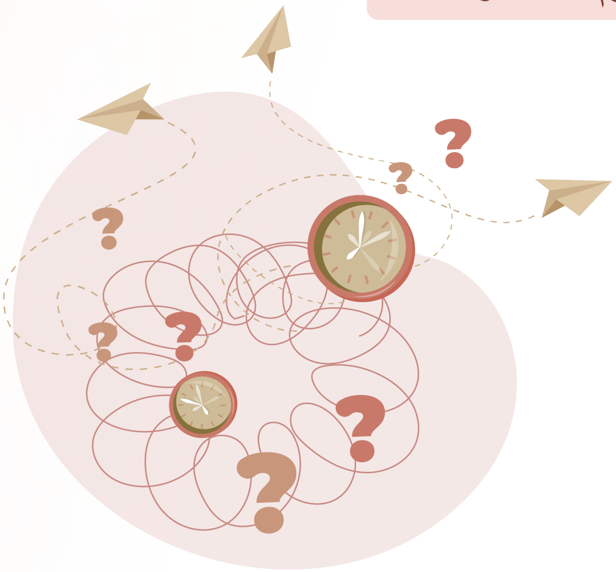

إن من أعظم ما يصيب النفس الإنسانية ما يعتريها من الملل والتعب وأنواع المضايق النفسية، من مثل الهمِّ والغم، ومن مثل الكدر والاكتئاب، وغير ذلك مما هو أشد من الأمراض الجسدية، بسبب الحياة الدنيا، فلما تشعبت همومنا في هذه الحياة الدنيا، وتعلقت القلوب بملذاتها وشهواتها، وتسابق الناس نحو حطامها، وتنافس أكثر الخلق على أموالها ومناصبها، واغتر الكثير بالجاه والقوة والسلطان، وكثرة الأولاد والأتباع، وظن الجميع أن هذا الطريق يؤدي إلى السعادة والطمأنينة وراحة البال ورغد العيش وتوالي النعم واستمرارها، ولكن الحقيقة خلاف ذلك؛ فقد نتج عن حب الدنيا والتعلق بها أن جعلناها الهم الأول في حياتنا، أن كثرت الهموم، وضاقت الأحوال، وزادت المشاكل، وتنوعت الصراعات بين بني البشر، وظهر الجشع والطمع، وفسدت الكثير من الأخلاق، وقلّ المعروف بين الناس، ودب الخلاف والنزاع والشقاق.

وهذا ما حذّر منه النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم فقال: «فَوَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ». متفقٌ عَلَيْهِ.

ونسينا في غمرة ذلك الكثير من الواجبات والتكاليف الشرعية، وتساهل الكثير بالعبادات، ونسينا أن هناك آخرة وحسابًا وعقابًا، ونسينا في كثير من الأحيان أن هناك إلهًا عظيمًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجب أن نستسلم لدينه ونحتكم لشرعه، وأنه مطّلع علينا، ويراقب أعمالنا وتصرفاتنا، فزادت تعاستنا وشقاؤنا بسبب تقصيرنا وتفريطنا؛ لأن الهم الذي نحمله هو الدنيا فقط؛ قال تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠١].

فهل من طريقة للخروج من حالة الضيق والقلق التي نعيشها اليوم؟! وهل من وسيلة نجد معها الراحة وانشراح الصدر وراحة الضمير؟! وكيف نجمع شتات أمرنا وتفرق شملنا ونصل إلى مبتغانا؟! كيف نأمن تقلب الدهر، وسطوة العدو، وتنكر القريب، وشدة البلاء؟!

## هم واحد به تطيب حياة المؤمن ألا وهو هم الآخرة

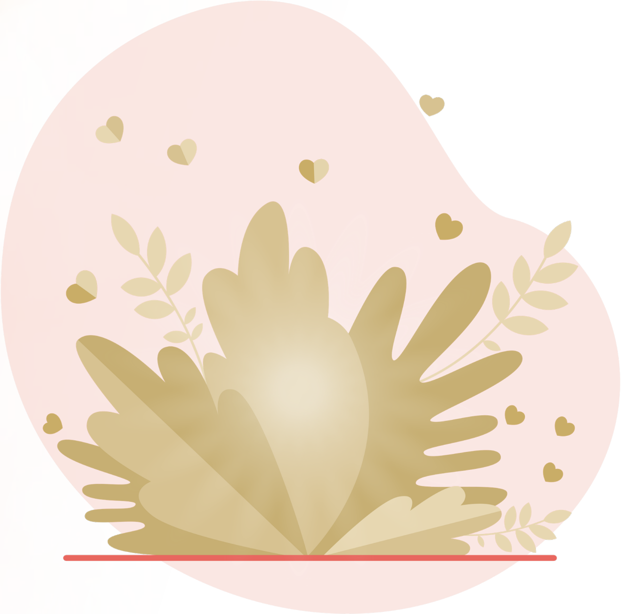

هذه النفس الإنسانية لها تعقيدات وتفاصيل لا يدركها إلا من خلقها، وهو الخبير العليم، ولذلك جعل الله ﷻ لعباده طريقًا بيّنًا واضحًا في تحصيل الطمأنينة والاستقرار النفسي، ومهما تطلَّب الناس من المسالك والوسائل والأساليب؛ ليوجدوا هذه الطمأنينة التي لا تطيب الحياة إلا بها، فإنهم لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلًا إلا من سبيل الله والشرع الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ؛ ولأجل هذا تتعدَّد هموم الناس وتوجُّهاتهم ومشاغلهم، وبخاصة فيما يتعلق بمعايش الدنيا، فأكثر الخلق- بل جميعهم- متوجهون في هذا الهمّ، الذي يحملهم على طَرْق عديد من الأبواب، وسلوك عديد من السبل، وأكثرهم يغفلون عن السبيل الأعظم الذي يهيِّئ لهم هذا المطلب وأكثر. كم بابًا طرقت لتسعد؟ المال، السفر، الشهادة، الصداقات، المقتنيات، البيت، النزهات ...كيف وجدتها؟ ألم تكن متعه وقتية تزول بزوالها؟ وكم مرةً كررت: مشغول، ليس لدي وقت، هل أنت مشغول حقا في كل يومك؟

وفي ضوء ذلك كان من المتعين على المؤمن أن يتطلب هذا السبيل الذي بيَّنه الله ﷻ وبيَّنه نبي الهدى محمد ﷺ؛ حتى لا تتشعب الهموم، ولا تتفرق التوجهات، فيزداد الإنسان كدرًا إلى كدر، وتعبًا إلى تعب، وهمًّا إلى هم، ومما يوضح هذا نص كريم جاء بعدة روايات، وقاله النبي ﷺ في أكثر من مناسبة؛ ليبين لأهل الإيمان ما ينبغي عليهم من الثقة بالرحمن، والتوكل على الملك المنان، فمن سلك هذا السبيل نال السعادة من أطرافها، وحاز الطمأنينة بكل شمولها، ومن أخطأ هذا الطريق ناله من الضرر والهمِّ والغم ما الله به عليم.

## الهَمُّ سلاح ذو حَدَّين

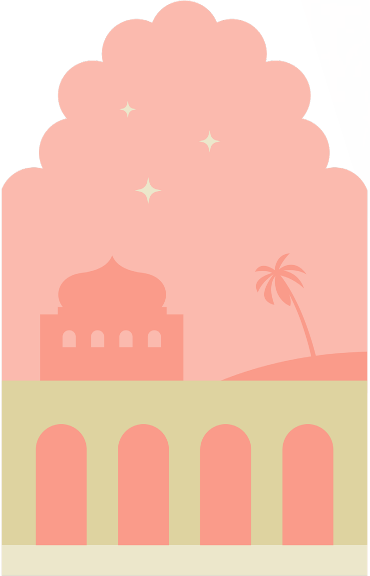

الْهَمُّ سِلَاحٌ ذُو حَدَّيْنِ؛ فإِنْ كَانَ مُعَلَّقًا بِالْآخِرَةِ وَمَعَهَا؛ فَهُوَ مَحْمُودٌ، وَصَاحِبُهُ مَأْجُورٌ، وَإِنْ كَانَ الْهَمُّ مُتَعَلِّقًا بِالدُّنْيَا وَغُرُورِهَا، كَانَ مَذْمُومًا. فالاشتغالُ بالآخرةِ دارِ القَرارِ سببُ السَّعادةِ والفوزِ بنَعيمِ اللهِ ﷻ، ولا يَنقُص من الرِّزق شَيئًا، والاشتِغالُ بالدُّنيا الفانيةِ يُورِثُ الهُمومَ، ويُفرِّقُ الشَّملَ، ولا يَزيدُ من الرِّزقِ شيئًا.

فقد روى الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جعَلَ اللَّهُ غِناهُ في قلْبِهِ، وجَمعَ لهُ شمْلَهُ وأتَتْهُ الدُّنيا وهِيَ راغِمَةٌ، ومَنْ كانَتِ الدُّنيا هَمَّهُ جعَلَ اللَّهُ فقْرَهُ بيْنَ عيْنيْهِ، وفرَّقَ علَيْهِ شمْلَهُ، ولَمْ يأْتِهِ مِنَ الدُّنيا إلاَّ ما قُدِّرَ له».[1]

أعلى الهم وأغلاه وأرفعه هم الآخرة: «مَن كانَتِ الآخِرةُ همَّه"، أي: أهَمَّ ما يَشغَلُه، وكانتْ هي قَصْدَه في عمَلِه وحياتِه في الدُّنيا، « مَن كانَتِ الآخِرةُ همَّه "، يريد رضا ربه، ودخول جنة عرضها السموات والأرض، ومن أراد الجنة فلا بد أن يسعى لها سعيها، فهي سلعة الله الغالية، لا يمكن أن تنال بالأمنيات، ولا بالإسفاف، ولا بما حرم الله. "مَن كانَتِ الآخِرةُ همَّه» سوف يحاسب نفسه على كل خطراته وأقواله وأفعاله. إن صاحب الهم الأخروي الذي جرد نفسه لله، ولم يجعل في قلبه أحدًا سواه، أنعم الله عليه بثلاث نعم -ونعمُ الله لا تُحصى- لو يعلم بها أهل الدنيا لجالدوه عليها بالسيوف حتى يأخذوها .

---

١ الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم: ٢٤٦٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح التخريج: أخرجه الترمذي (٢٤٦٥) واللفظ له.

## جَعَلَ اللَّهُ لِصَاحِبِ الْهَمِّ الْأُخْرَوِيِّ ثَلَاث مِنَحٍ ونعم

النعمة الأولى الَّتِي يَنْعَمُ بِهَا صَاحِبُ الْهَمِّ الْأُخْرَوِيّ: «جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ "، أي: رزَقه الكِفاية، وقنَّعه بما في يدِه، فيكونُ مُستغنيًا باللهِ عن النَّاسِ، ولا يَطمَعُ في أحَدٍ، والمعنى أن هذا الإنسان يرفع الله ﷻ درجة أُمنياته، فهو لا يرى هذه الدنيا شيئًا أمام الملك العظيم في جنة عرضها السموات والأرض، ولذلك فهو لا يرى أن هذه الدنيا تستحق أن يُتقاتل على حطامها، فهو لا يحسد ولا يبغي ولا يظلم؛ فإذا كانت الآخرة همَّ الإنسان، فإنه بعد ذلك لن يبالي بهذه الدنيا، ومن مقتضى هذا الوعد الكريم: « جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ»، أن يجعل الله في قلبه من القناعة والكفاف والكفاية، ما يجعله يعرض عن إتعاب نفسه في طلب الزيادة من مُتَع هذه الحياة الدنيا.

إذ يقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: «ليسَ الغِنَى عن كَثْرَةِ العَرَضِ، ولَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ».[1]

---

١ الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح ابن ماجه | الصفحة أو الرقم: ٣٣٥٤ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

وفي هذا الحديثِ يبيِّنُ النَّبيُّ ﷺ المَعنى الحقيقيَّ لِلغِنى الواجِبِ على الإنسانِ الاجتِهادُ في تحصيلِه، والذي يَرفَعُ دَرَجاتِه في الدُّنيا والآخِرةِ، فيُخبِرُ ﷺ أنَّ الغِنَى ليس كما يَظُنُّ النَّاسُ في كَثْرةِ المالِ، ولا في كَثْرةِ العَرَضِ، وهو: كُلُّ ما يُنتفَعُ به مِن مَتاعِ الدُّنيا مِن أيِّ شَيءٍ كان؛ لأنَّ كثيرًا ممَّن وُسِّع عليه في المالِ لا يَقنَعُ بما أُوتِيَ، فهو يجتَهِدُ في الازدِيادِ ولا يُبالي مِن أيْن يَأتيهِ، فكأنَّه فقيرٌ مِن شدَّةِ حِرصِه؛ ولكنَّ الغِنى الحقيقيَّ المعتبَرَ الممدوحَ غِنى النَّفْسِ بما أُوتِيَتْ وقناعتُها ورِضاها به، وعدَمُ حِرصِها على الازدِيادِ والإلحاحِ في الطَّلَب؛ لأنَّها إذا استَغْنَتْ كَفَّتْ عن المطامِعِ، فعزَّتْ وعظُمتْ وحصَل لها مِن الحُظوةِ والنَّزاهةِ والشَّرفِ والمدحِ، أكثَرُ مِن الغِنى الذي يَنالُه مَن يكونُ فَقيرَ النَّفْسِ بحِرْصِه، فإنَّه يُورِّطه في رَذائلِ الأمورِ وخَسائسِ الأفعالِ؛ لِدَناءةِ هِمَّتِه وبُخلِه، ويَكثُرُ ذامُّه مِن النَّاسِ، ويَصغُرُ قَدْرُه عندَهم، فيكون أحقَرَ مِن كلِّ حَقيرٍ، وأذَلَّ مِن كلِّ ذَليلٍ، الغني بالمال، الفقير القلب. فإنه يلهث كما يلهث الوحش بجمع المال، وهو يملك الملايين، ولكن لأنه غير قانع بما رزقه الله فإنه فقير، فقد اتخذ المال إلهًا من دون الله، فالفقير هو الذي يشعر بانعدام المال عنده، والحاجة الدائمة إليه، وهو مع ذلك كأنَّه فقيرٌ مِن المال؛ لكونه لم يَستغنِ بما أُعطِيَ فكأنَّه ليس بغَنِيٍّ، ولو لم يكُنْ في ذلك إلَّا عدمُ رِضاهُ بما قَضاهُ اللهُ، لكَفاه.(١)

الثاني نِعْمَةٍ يُلَقَّاها صَاحِبُ الْهَمِّ الْأُخْرَوِيِّ: «وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ» جمع الشمل والأمر: وهو الاجتماع، وكل ما يحيط بالإنسان، فإن الله ﷻ يعطيه السكينة والطمأنينة، ويجمع عليه أفكاره ويقلل نسيانه، ويجمع عليه أهله، ويزيد من المودة بينهما ويجمع عليه أبناءه، وييسرهم له، ويجمع عليه أقرباءه، ويبعد عنه الشقاق، ويجمع عليه ماله، فلا يتشتت بتجارة خاسرة، أو تصرف أحمق، ويجمع القلوب عليه بعد أن يكتب له القبول في الأرض، فلا يراه أحد إلا أحبه، ويجمع عليه كل ما يحيط به من أمور الخير جميعها.

---

١ شرح الحديث: «ليسَ الغِنَى عن كَثْرةِ العَرَضِ، ولَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»، من موقع الموسوعة الحديثية الدرر السنية .

ثَالِثُ نِعْمَةٍ يُلَقَّاهَا صَاحِبُ الْهَمِّ الْأُخْرَوِيِّ: «وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ» أي: وتأتيه الدُّنيا وهي ذليلةٌ؛ لأنَّه لم يتطلَّعْ إليها، لن يهمه ما فيها من مُتَع ومن مُلك، ومن رُتب ومراتب، وإنما همه أن يصل إلى هذه الدار دار القرار، دار الفوز بجوار العزيز الغفار، وهذا لا يعني أن يكون الإنسان مضيّعًا لما يجب عليه في هذه الحياة الدنيا، فإن من مقتضى إرادة الآخرة أن يقوم الإنسان بما أوجب الله عليه في هذه الحياة الدنيا، فهو يتعبد الله ﷻ بالعبادات التي افترضها، وكذلك يتعبده جل وعلا بطلب المعاش وطلب الرزق، ولكن بالطريق التي أمر الله ﷻ سلوكها. لأنه يعلم أن هذه الدنيا كلها زائلة، فليس ثمة شيء مما يستحق أن يضيّع دارًا وجنةً عرضها السموات والأرض لأجله في هذه الحياة الدنيا، حتى ولو كان من مشتهيات النفوس ومن مستلذاتها من شهوات البطن والنفس، ولذلك إنما غناه في هذا القلب بعبادة ربه، فهو يجد من الطمأنينة واللذة في العبادة أعظم مما يجده أهل اللذات في لذائذهم

## ما الهم الأكبر الذي يشغلك؟!

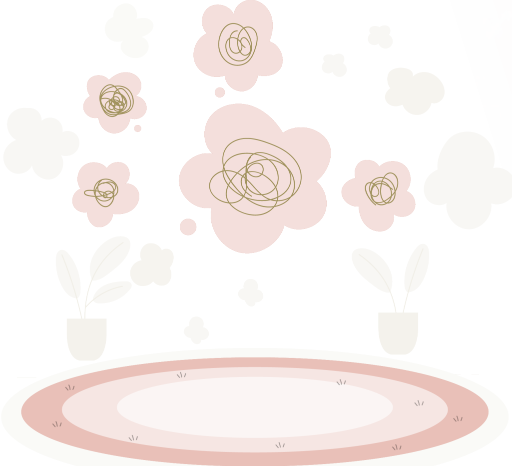

لقد تشعبت بنا الهموم، حتى أحدنا يستهلك من جهده وماله ووقته الشيء الكثير، ما أكثر الهموم في حياتنا!! هَمُّ المال، وَهَمُّ المنصب، وَهَمُّ الجاه، وَهَمُّ الزوجة، وَهَمُّ الأولاد، وَهَمُّ الدراسة، وَهَمُّ المستقبل المجهول،

وَهَمُّ السعادة المفقودة، وَهَمُّ المرض، وَهَمُّ العدو، وغير ذلك من الهموم وغيرها... فإذا كانت هذه هي الهموم التي تسيطر على حياتنا، وسببت لنا التعاسة والشقاء والضنك، فمن أراد أن يعرف الهم الأكبر الذي يشغله فلينظر في أحواله: ما الذي يفكر فيه قبل نومه أو في صلاته؟ ما الذي يفرحه ويحزنه؟ وما الذي يغضبه؟ ما أمنياته؟ وبماذا يدعو الله في سجوده؟ وما الذي يراه في منامه وأحلامه؟ ما الأمر الذي يؤثر تأثيرًا مباشرًا في قراراته كاختيار الزوجة، هل هو المال والجمال أم الدين والخلق؟ ما الذي يهمه في تجارته الربح بأية طريقة ووسيلة أم الربح الحلال؟

فتأملوا هذه الكلمات البليغة والجمل العظيمة، وقد أُوتي نبينا محمد ﷺ جوامع الكلم، وأُيِّدَ بالوحي من الله، فهذه قواعد في الدنيا مَن فقهها وسار عليها، وجد من الطمأنينة ما لا يمكن وصفه، ولا يُستطاع حصره. أين هَمُّ الآخرة؟ الذي به تزول هموم الدنيا، وبه تحل السعادة والطمأنينة والرضا. تحمل هم الآخرة ولقاء الله والشوق إلى جنته، والخوف من غضبه وناره، تأملوا هذه الأسس، ومدارها على أن يكون الإنسان همُّه الآخرة، وأن يبلغ الجنة، فإنه إن كان كذلك فإن الدنيا ستكون هيِّنة في ناظريه، وسيؤتيه الله هذه الدنيا بما جعل في قلبه من التوكل عليه؛ لأن مقاليد الأمور وخزائن السموات والأرض بيد الملك العلام، بيد ربنا الرحمن، فمن توكل عليه واستعان به، آتاه الله منها، ومِن الغنى في قلبه ما يجعله أغنى الخلق، وإنما كان كذلك؛ لأنه غني بربه، فمن وجد الله، ووجد رزق الله، ووجد تأييد الله، ماذا يفوته؟!ومن فاته الله وفاته توكُّله على الله، وفاته استعانته بالله، فماذا سيحصل؟! وما أجمل ما قاله العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في استنباطه وبيانه لدلالة هذا الحديث العظيم!! حيث قال: «إذا أصبحَ العبدُ وأمسى وليسَ همُّهُ إلاّ اللهُ وحدَهُ تحمَّلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حوائجَهُ كُلَّها، وحمَلَ عنه كلَّ ما أهمَّهُ، وفرَّغَ قلبَهُ لمحبَّتِهِ، ولسانَهُ لِذِكْرِهِ، وجوارِحَهُ لِطاعَتِهِ، وإنْ أصبحَ وأمسى والدُّنيا همُّهُ حمَّلَهُ اللهُ هُمومَها وغُمومَها وأنكادَها، ووكَلَهُ إلى نفْسِهِ»[1].

---

١ ابن القيم – كتاب الفوائد – (ص١٢١).

لقد كثرت همومنا اليوم فضاقت أحوالنا، ولم تشبع نفوسنا ولم نصل إلى مبتغانا، وتشعبت همومنا، المال والمنصب والمركز الاجتماعي والأولاد والتجارة والوظيفة والزوجة والعدو والمشاكل والفتن والصراعات والحروب، وَهَمُّ الحاضر والمستقبل، وَهَمُّ الربح والخسارة، وَهَمُّ النجاح والفشل، هموم لا تعد ولا تحصى، وكان يمكن أن يكفيك الله هذه الهموم.

## نظرة الإسلام إلى الدنيا

إن الإسلام دين واقعي، فعندما أمرنا بتذكر الآخرة وما فيها لم يغفل واقع الناس وحياتهم ومتطلباتهم وهمومهم في هذه الحياة، فالدنيا لا شك أن فيها هموم ومتاعب، وقد أمرنا بالسعي فيها وتعميرها، وعندما ذمها الإسلام إنما كان الذم تحذيرًا للإنسان أن ينشغل فيها عن الآخرة، فينسى طاعة ربه، وينسى رسالته في تعمير الأرض، ودعوة الناس إلى دين الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، فصاحب هم الآخرة، يهرب من الدنيا وزينتها، يخشى فتنتها وزخرفها، وهذا لا يعني أن ينقطع عنها. كلا، بل يأخذ منها قدر ما يبلغه إلى الآخرة، ومع إعراضه عنها،

متبعًا هدي نبيه ﷺ. يقول ابن عمر رضي الله عنهما: أخذ رسولُ اللهِ ﷺ بمنكِبي، فقال: «كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو كعابرِ سبيلٍ». وكان ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يقولُ: «إذا أصبحتَ فلا تنتظِرِ المساءَ، وإذا أمسيْتَ فلا تنتظِرِ الصَّباحَ، وخُذْ من صِحَّتِك لمرضِك، وفي حياتِك لموتِك».(1)

المُؤمِنُ يجعَلُ الدُّنيا دارَ عَمَلٍ وعبادةٍ لِيحصُدَ ثوابَ ذلك في الآخِرةِ؛ لأن الآخرةَ هي دارُ القَرارِ، وليْستِ الدُّنيا إلَّا دارًا فانيةً ستَنْتهي إنْ عاجلًا أو آجلًا. وفي هذا الحديثِ يَرْوي عبدُ اللهِ بنُ عُمرَ رضي الله عنهما أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أَمسَكَ بمَنْكِبه –والمَنكِبُ: مَجمَعُ العَضُدِ والكتِفِ–؛ لِتنْبيهِه إلى التَّوجُّهِ إليه، وليجعَلَه في اهتمامٍ لِما سيوصيه به، وقال واعظًا له: «كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غَريبٌ» قَدِم بَلدًا لا مَسْكنَ له فيه يُؤوِيه، ولا ساكِنَ يُسلِّيه، خالٍ عن الأهلِ والعيالِ والعَلائقِ، التي هي سَببُ الاشتغالِ عن الخالِقِ، «أو عابرَ سَبيلٍ»، أي: أو كُنْ كالذي خرَجَ مُسافِرًا يَمُرُّ بالبلادِ غيرَ مُتوقِّفٍ فيها إلَّا لِيتزوَّدَ منها؛ فعابرُ السَّبيلِ أشدُّ زُهدًا في مُغرَياتِ طَريقِه مِن الغَريبِ؛ لأنَّ الغَريبَ قدْ يَسكُنُ في بِلادِ الغُربةِ ويُقيمُ فيها، بخِلافِ عابرِ السَّبيلِ القاصِدِ للبَلَدِ، وبينَه وبيْنَ بلدِه مَسافاتٌ شاسِعةٌ، وهو في حالةِ تَخفُّفٍ دائمةٍ مِن الأثقالِ حتى لا تُعيقَه أو تُؤخِّرَه عن بُلوغِ مَقصدِه. وقيل: إنَّ «أو» للإضرابِ بمَعْنى «بلْ»، والمعنى: بلْ كُنْ كأنَّك عابرُ سَبيلٍ، وهو ارتِفاعٌ به إلى مَنزلةٍ أعْلَى في الزُّهدِ مِن مَنزلةِ الغَريبِ. والمرادُ: أنَّ على المُؤمنِ أنْ يَستحضِرَ في قلبِه دائمًا حالةَ الغريبِ أو المُسافِرِ لحاجتِه وغايتِه في تعامُلِه مع شَهواتِ الدُّنيا ومُتطلَّباتِها؛ لِيَصِلَ بذلك إلى آخِرتِه –التي هي دارُ إقامتِه الدَّائمةِ– في أسْلَمِ حالٍ؛ فهو لا يَركَنُ إلى الدُّنيا، بلْ يُعلِّقُ قلْبَه بالدَّارِ الآخِرةِ، فإذا فاجَأَه الموتُ كان كمَنْ وصَلَ إلى غايتِه. وقدْ تعلَّم ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما هذا الدَّرسَ ووَعاه جيِّدًا، فكان يقولُ لنَفسِه ولغيرِه: «إذا أَمسيتَ فلا تَنتظِرِ الصَّباحَ»؛

---

(1) الراوي: عبدالله بن عمر | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: ٣/٣٤٣ | خلاصة حكم المحدث: صحيح متفق عليه [أي:بين العلماء] من حديث الأعمش | التخريج: أخرجه البخاري (٦٤١٦) بنحوه، والترمذي (٢٣٣٣)، وابن ماجه (٤١١٤)، وأحمد (٤٧٦٤)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٣٠١/٣) واللفظ له.

بألّا تُؤخِّرَ عَمَلًا مِن الطَّاعاتِ إلى الصَّباحِ؛ فلعلَّك تكونُ مِن أهلِ القُبورِ، وإذا أصبَحْتَ فلا تُؤخِّرْ عَمَلَ الخيرِ إلى المساءِ؛ فقدْ يُعاجِلُك الموتُ، واغتنِمِ الأعمالَ الصَّالحةَ في الصِّحَّةِ قبْلَ أنْ يحُولَ بيْنك وبيْنها المرضُ، واغتنِمْ حَياتَك في الدُّنيا، فاجمَعْ فيها ما ينفَعُك بعْدَ موتِك.[١]

وكذلك وقوله ﷺ: «ما لي وللدنيا إنما أنا كراكب استظل بظل شجرة، ثم راح وتركها".

ورد في الحديث: نامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ علَى حصيرٍ، فقامَ وقد أثَّرَ في جنبِهِ، فقلنا يا رسولَ اللَّهِ لوِ اتَّخذنا لَكَ وطاءً فقالَ: «ما لي وما للدُّنيا، ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكبٍ استظلَّ تحتَ شجرةٍ ثمَّ راحَ وترَكَها».[٢]

كان النَّبيُّ ﷺ أزهدَ الناسِ في الدُّنيا؛ لِعلمِه بحَقيقتِها وأنَّها دارُ فَناءٍ، وليسَت باقيةً، وإنَّما هي مَرحَلةٌ يتزوَّدُ فيها المسلِمُ مِن الأعمالِ الصَّالحةِ والطَّاعاتِ؛ حتَّى يَعيشَ الحياةَ الباقيةَ في جَنَّةِ اللهِ سُبحانَهُ وتعالى. وفي هذا الحديثِ يقولُ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «نامَ رسولُ اللهِ ﷺ على حَصيرٍ، فقام»، أي: مِن نومِه، «وقد أثَّر في جَنبِه»، أي: كانت أعوادُ الحصيرِ وخيوطُه مؤثِّرةً في جنبِه، وكان الحصيرُ يُنسَجُ مِن ورَقِ النَّخيلِ؛ فقُلنا: «يا رسولَ اللهِ، لوِ اتَّخَذْنا لك وِطاءً»، أي: فِراشًا أنعَمَ وأبسَطَ مِن هذا الحصيرِ، فقال ﷺ: «ما لي وللدُّنيا»، أي: ليس لي أُلفةٌ ومَحبَّةٌ مع الدُّنيا، «ما أنا في الدُّنيا إلَّا كَراكِبٍ»، أي: مِثلَ راكِبٍ يَسيرُ في طريقٍ فتعِب، فنزَل و»استَظَلَّ تحتَ شجَرةٍ»، أي: اتَّخَذ مِن أوراقِها ظِلًّا مِن حرارةِ الشَّمسِ، «ثمَّ راحَ وترَكَها»، أي: يَستَريحُ قَليلًا ثمَّ يُكمِلُ سيرَه، وهذا التَّشبيهُ مِن النَّبيِّ ﷺ يُصوِّرُ حياةَ المسلِمِ في الدُّنيا كعابرِ السَّبيلِ الَّذي يُريدُ أن يَبلُغَ آخِرتَه بأمانٍ وفي غيرِ

---

١ شرح الحديث: «كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو كعابرِ سبيلٍ» من موقع الموسوعة الحديثية الدرر السنية

٢ الراوي: عبدالله بن مسعود | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ٢٣٧٧ | خلاصة حكم المحدث: صحيح التخريج: أخرجه الترمذي (٢٣٧٧) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد (٣٧٠٩).

تَباطُؤٍ مِنه؛ لِيتنعَّمَ بما في الدُّنيا على ما له في الآخرةِ، وهذا إرشادٌ مِن النَّبيِّ ﷺ إلى عَدمِ الاشتِغالِ بالدُّنيا ومَلذَّاتِها، وأنَّه يَنبغي الاشتِغالُ بالآخرةِ؛ لأنَّها دارُ القرارِ، وحَثٌّ على تَرْكِ لَهْوِ الدُّنيا ومَتاعِها، وألَّا يَكونَ الانشِغالُ إلَّا بالآخِرَةِ.[1]

## مثل المؤمن كمثل المسافر

المسافر حينما يتوقف (في وقت الحر وضوء الشمس الشديد وحرِّها) تحت ظل الشجرة، لا يفكر أن يكون مقامه طويلًا، فهو لا يشتغل بأن يجعل له في هذا المكان ما ينشغل به، فهو لا يشغل نفسه بالقرار في هذا المكان؛ لأنه استقرار مؤقت، وهكذا نظر المؤمن في هذه الحياة الدنيا، لا يصلح أن يكون تخطيطه على أن يكون مقيمًا فيها إقامة دائمة، وإنما هي كما أخبر الله، وكما هو الواقع، وكما هو مستقر في نفوس الناس كافة، أن الإقامة فيها مؤقتة محدودة، ومهما طالت فهي قصيرة.

١ شرح حديث: «ما لي وللدنيا» من موقع الموسوعة الحديثية الدرر السنية.

## طلب الرزق من الله

فإن المؤمن يجعل الله غناه في قلبه، ثقةً بموعود ربه، وما عند الله ﷻ من الملك العظيم: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ "، والمعنى أن الله ﷻ يجزيه الجزاء الأوفى، فكما أنه أراد ما عند الله، فلم يُفرق همَّه في الدنيا؛ لأن الهموم فيها متعددة متنوعة متعبة، ولذلك جعل مجموع خاطره متهيئًا في تحصيل الأسباب التي ينال بها رضا الله ﷻ، ويكافئه فوق ذلك: « وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»، والمعنى أن الله يسوق له من الرزق ما لا تعب معه، وإنما هو ببركة توكُّله على الله ﷻ، كما دل عليه الحديث الصحيح: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا، وتعود بطانًا».(١)

فما استُجلِبت الأرزاق، وما استُنزِلت النعم، وما استُكثِرت الخيرات، بمثل التوكل على الله. إن التوكل له سرٌّ عجيب، وأثر عظيم في غنى النفس،

١ الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ٢٣٤٤ |
خلاصة حكم المحدث: صحيح

وحصول متطلبات الحياة. ولذلك فإن هذا المؤمن الذي يُعطى هذا الخير، ويُجعل في قلبه يجد من السعادة والطمأنينة ما لا يمكن وصفه، إن التوكل له سرٌّ عجيب وأثر عظيم في غنى النفس وحصول متطلبات الحياة.

وتأملوا في قوله ﷺ: «وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ». إن الدنيا بيد الله، والملك لله، تأتيه ذليلة حقيرة، تابعة له، لا يحتاج طلبها إلى سعي كثير، بل تأتيه هيِّنة ليِّنة على رغم أنفها وأنف أربابها، فلو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يمنعوه رزقًا كتبه الله له، لم يستطيعوا ذلك، ولم يقدروا عليه، فما أرغد عيش هذا الإنسان الذي اطمأنت نفسه، وارتاح قلبه من أن يكون ساعيًا في أَوْدِيَة الدنيا ومسالكها، واستغنى عن كل ذلك بطلبها ممن هي بيده.

## صفاتُ صاحبِ همِّ الدنيا

وَأَمَّا صَاحِبُ هَمِّ الدُّنْيَا؛ فَهُوَ ذَاكَ الْمَغْرُورُ، الَّذِي مَلَكَتْ عَلَيْهِ الْعَاجِلَةُ شَغَافَ قَلْبِهِ؛ فَلِأَجْلِهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، وَيُوَالِي وَيُعَادِي، يَتَهَلَّلُ إِذَا ذُكِرَتْ، وَيَشْمَئِزُّ إِذَا ذُمَّتْ؛ فَبَشَاشَتُهُ وَهَشَاشَتُهُ، وَعِتَابُهُ وَمَلَامَتُهُ لِأَجْلِ الدُّنْيَا وَلِلدُّنْيَا. أنه قد أشغل نفسه كل الإشغال الذي أدى إلى أن ينصرف

عن طاعة ربه، فهو يرى أن تحصيل المال وبلوغ الرتب والمراتب، واستكثار الممتلكات: أن هذا هو النجاح وهو الفلاح، وهو الفوز وهو التميز، وما علم أن من هذا المال ما قد يكون شقاءً عليه بصُورٍ متعددة، أعظمها الحساب بين يدي الله، إن هو لم يقم فيه بواجبه، ومن جملة ما يشقى به ذلك الهم الذي ابتدأ فيه بتحصيل هذا المال، ثم بالحفاظ عليه وتنميته، ثم بحيازته، وألا ينقص، فهو طيلة حياته كلها مسخر لهذا المال وخدمته، فبدلًا من أن يخدمه المال، صار خادمًا له، وبدلًا من أن تكون الرتبة والمراتب خادمة له، صار خادمًا لها، وحسبُك بذلك شقاءً! وما بَعُدَ عن إنسان خير ورزق وفير بمثل ما جعل من توكُّله على نفسه، وثقته في أسبابه، واستغنائه عن ربه، فما أشقى مثل هذا الإنسان؛ لأنه يتطلب من الرحمن ما يبارزه به، فالملك لله والرزق من عند الله، فكيف يستنزل الرزق بمعصية الله ﷻ؟ بل كيف يستنزل الرزق بمثل إظهار العبد غناه عن ربه ﷻ؟ من كانت الدنيا همه، فلا يفكر إلا فيها ولا يعمل إلا لها ولا يهتم إلا من أجلها، ولا يفرح إلا لها ولا يوالي أو يعادي إلا فيها، فهذا يعاقبه الله بثلاث عقوبات تفصيلها في الآتي:

## صَاحِبُ الْهَمّ الدنيوي يُعَاقَبُ فِي الْعَاجِلَةِ قَبْلَ الْآجِلَةِ، بِأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

أُولَاهَا: «جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ "؛ ولذا قال ﷺ مبينًا هذه الحالة النفسية التي يكون عليها هذا الإنسان: «جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ »، والمعنى أن هذا الإنسان يناله الهلع الشديد من خوف ضياع المال، فالفقر بين عينيه وإن ملك الأموال المتطاولة، لكنه مشغول بنفسه، معتمد على قوته، لم يلتفت إلى توكله على ربه، فإن تغيرت الأسعار وتفاوتت مؤشرات الأسواق، وغير ذلك مما يكون من اختلاف قيم المتداولات من أسهم وعقارات، ومن بضائع وسلع وغيرها، فهو في هَمٍّ من تقلُّب هذه الأمور، وهو إنما يشغل نفسه؛ لأنه بعد عمن بيده الأمر كله، ولم يستقر في قلبه

أن المعطي والمانع هو رب العزة ﷻ الذي بيده ملكوت كل شيء، ولذلك وكله الله إلى نفسه، فلن يحصل إلا ما كتب الله له، فما أعظمها من عقوبة: «جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ "؛ فَهُوَ إِنْ كَانَ غَنِيًّا لَا يَعِيشُ حَيَاةَ الْقَنَاعَةِ أَبَدًا؛ فَمَهْمَا حَصَّلَ وَكَسَبَ وَكَنَزَ، يَرَى خَطَرَ الْفَقْرِ مَاثِلًا أَمَامَهُ، وَيُخَيِّمُ عَلَى خَاطِرِهِ هَاجِسُ الْحَاجَةِ، وَالْخَوْفُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ، يَزْدَادُ حِرْصُهُ كُلَّمَا زَادَ ثَرَاؤُهُ، وَتَزْهُو نَفْسُهُ كُلَّمَا لَمَعَ بَرِيقُهُ. هَذَا الْحَرِيصُ اللَّاهِثُ وَرَاءَ طَنِينِ الدُّنْيَا وَرَنِينِهَا، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ عَبْدٌ لِمَا يَطْلُبُ، وَهَذِهِ هِيَ التَّعَاسَةُ الَّتِي دَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهَا بِقَوْلِهِ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ".[١]

وَعُقُوبَةٌ ثَانِيَةٌ تَحُلُّ عَلَى مَنْ جَعَلَ دُنْيَاهُ هَمَّهُ: «وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ" أَنْ يُشَتِّتَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ؛ فَتَرَاهُ -وَإِنْ حَصَّلَ الثَّرَاءَ، أَوْ بَلَغَ الْمَنْصِبَ وَالْأَضْوَاءَ- مُشَتَّتَ الْبَالِ، هَائِمَ الْفِكْرِ، مُضْطَرِبَ النَّفْسِ، كَثِيرَ الْقَلَقِ، لَا بَرَكَةَ فِي مَالِهِ وَوَلَدِهِ، الْقُلُوبُ لَا تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ، وَالْقَبُولُ لَا يُكْتَبُ لَهُ.

أي: فتراه متشتت البال والفكر، ومضطرب النفس، كثير القلق على كل أمر مهما كان تافهًا، يفرق عليه ماله، فلا يوفق في تجارة أو عمل، ويفرق عليه أبناءه وزوجه، فيرى عقوقًا دائمًا، يزيد همه وغمه، ويجد من زوجه تأففًا وتمردًا وشكوى لا تنقطع، تجعله يتمنى الخلاص من الدنيا من شدة ما يجد. ويفرق الله الناس عنه فلا يحبه أحد، بعد أن كتب الله له البغضاء في الأرض؛ نسأل الله العافية والسلامة.

إنه لا يجتمع أمره، ولا يحصل له الطمأنينة، وإنما هو مصبح وممسٍ مُشقيًا نفسه، إن كان قد حصل المال، فهو على الشقاء في حفظه، وإن لم يحصله فهو ساعٍ في طلبه، فقد أشقى نفسه بهذا الطلب، فيمضي حياته كلها على هذا النكد الشديد الذي أحاط بقلبه -عياذًا بالله من مثل هذه الحال.

---

١ الراوي: [أبو هريرة] | المحدث: ابن تيمية | المصدر: مجموع الفتاوى | الصفحة أو الرقم: ٣٥/٢٨

وَأَمْرٌ ثَالِثٌ يُلاقِيهِ صَاحِبُ هَذَا الْهَمِّ؛ «وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَه"، أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ مِنْ دُنْيَاهُ إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ؛ فَهُوَ وَإِنْ تَعَنَّى وَكَدَحَ وَكَدَّ وَمَدَحَ، فَلَنْ يَسْتَعْجِلَ أَوْ يَزِيدَ فِي رِزْقِ اللَّهِ لَهُ، فإنها هروب الدنيا عنه، فتجده دومًا يطلبها وهي دومًا هاربة منه، ويطلبها وهي تبتعد عنه يجري وراءها كما يجري من يحسب السراب ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، فهو يسعى للمنصب والجاه والشهرة والثناء وغيرها، فهو يهلك نفسه من أجل ذلك، ولا يأتيه من الدنيا غير ما كتب له، ولكن ذلك عقوبة من الله له، فهو إن سعى وتعب، فإن الذي يأتيه لا يكون بسبب سعيه وكده، وإنما هو بحسب ما قسم له، وما قدره الله ﷻ في الأزل، وليس ذلك راجعًا إلى ما عنده من حذق وحصافة، وفهم وسعي، ولكنه القدر المقدر، وما أشبه حال هذا بحال قارون؛ إذ قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾[القصص: ٧٨]، فمثل هذا التصور من أعظم ما يخسف بالإنسان في ذاته، وإن لم يخسف به في جسده، خسف به في حاله وفي طمأنينته القلبية: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾[القصص: ٧٨]، ينظر إلى كده وكسبه، وإلى كدحه وسعيه، ومثل هذا استغناء بالنفس عن خالقها ﷻ، وحينئذٍ فلا عجب أن تكون حال هذا الإنسان حال نكد، حال نصب؛ وذلك لأنه فاته ما لأجله خلق، وما به تُحصَّل الطمأنينة، وهو الركون إلى الله ﷻ، والتوكل عليه. وأَصْحَابُ هَذَا الْهَمِّ اسْتَعَاذَ خَيْرُ الْبَشَرِ ﷺ مِنْ حَالِهِمْ ؛ فَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا".[1]

فإن هذا الحديث العظيم وما في معناه يعلم المسلم خطورة الانهماك في الدنيا، والانشغال بها على حساب آخرته، ولذلك من علامات ضَعف العقل وضعف الإيمان: أن تكون بين الناس مقارنات بحسب ما هم فيه من أحوال الدنيا، وبخاصة إذا كان ذلك على سبيل التنافس والتكاثر والحسد.

---

١ الراوي: عبدالله بن عمر | المحدث: الألباني | المصدر: الكلم الطيب | الصفحة أو الرقم: ٢٢٦.

أما إذا كان على سبيل تنافس شريف بأن يتنافس الناس في نيل العلم وبلوغ الدرجات العالية، ونيل الشهادات فيما حصَّلوا من العلم، فهو تنافس شريف محمود، ولكن المذموم هو التنافس الذي معه التكاثر في الأموال والأولاد؛ كما عابه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١ -٢].

ولذلك فإن الإنسان إذا كان ساعيًا كادًّا في هذه الدنيا لتحصيلها لذاتها، ونسِي آخرته، فإنه على هذه الحال التي أخبر النبي ﷺ، وينبغي أن يُدرك في هذا المقام أن اهتمام الإنسان وانشغاله بالآخرة من أقوى أسباب سعادته في الدارين معًا؛ لأنه سيتخلق بالأخلاق الكريمة، ويقوم بما أوجب الله عليه في هذه الحياة الدنيا سعيًا كريمًا، ووفاءً بالحقوق، ومنعًا من الظلم.

## حرث الدنيا وحرث الآخرة

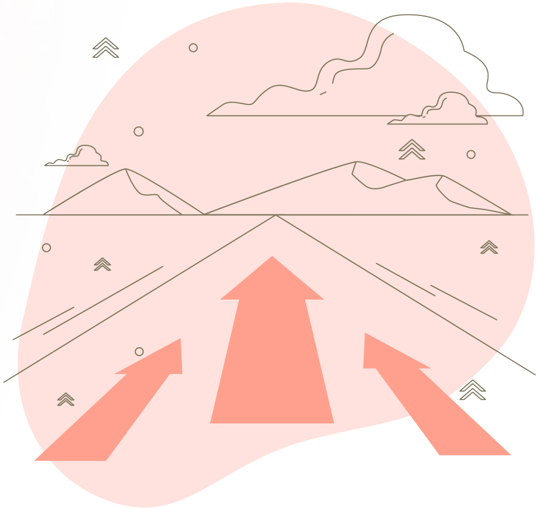

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠﴾ [الشورى: ٢٠]، ثم قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: أجرها وثوابها، فآمن بها وصدق، وسعى لها سعيها ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ بأن نضاعف عمله وجزاءه أضعافًا كثيرة، كما

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩﴾ [الإسراء: ١٩]، ومع ذلك، فنصيبه من الدنيا لا بد أن يأتيه. ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾ بأن: كانت الدنيا هي مقصوده وغاية مطلوبه، فلم يقدم لآخرته، ولا رجا ثوابها، ولم يخش عقابها، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾نصيبه الذي قسم له، ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠﴾ قد حرم الجنة ونعيمها، واستحق النار وجحيمها.(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: تلا رسولُ اللهِ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الآية قال: يقولُ اللهُ: «ابنَ آدمَ ! تفرَّغْ لعبادتي، أملأْ صدرَك غِنًى، وأَسُدَّ فقرَك، وإلا تفعلْ، ملأتُ صدرَك شُغلًا ولم أَسُدَّ فقرَك».(٢)

عُبوديَّةُ اللهِ هي أعْلى المَقاماتِ وأشْرَفُها، وهي الغايةُ من خَلْقِ الإنسانِ، وعندما يَتفرَّغُ لها الإنسانُ، ينالُ الخيْرَ العميمَ، لكن إنْ غفَلَ عنها، وانْشغَلَ بالدُّنيا، كان ذلك هو الخُسْرانُ الحقيقيُّ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «تَلا رسولُ اللهِ ﷺ»، أي: قرَأَ على الصَّحابَةِ قوْلَهُ تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾، والمعنى: مَن كان يُريدُ بعَمَلِهِ الآخِرَةَ؛ نَزِدْ له في عَمَلِهِ الحَسَنِ، فنَجعَلْ له الحَسَنَةَ بعَشْرٍ، إلى ما شاء ربُّنا من الزيادَةِ، ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠﴾ [الشورى: ٢٠]، أي: وَمَنْ كان يُريدُ بعَمَلِهِ الدُّنيا، ويَسعَى لها لا للآخِرَةِ، نُؤتِه ما قَسَمْنا له منها. ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يقولُ اللهُ: ابنَ آدَمَ!»، أي: يُنادي على ابنِ آدَمَ قائلًا له: «تفرَّغْ لِعبادتي»، والمُرادُ من التفرُّغِ للعِبادَةِ: إيثارُها على حُظوظِ الدُّنيا، والإتيانُ بما أَمَرَ به منها، فلا تُلْهيهِ عن ذِكْرِ اللهِ، لا أنَّه لا يَفعَلُ إلَّا العِبادَةَ، بل لا

---

١ الإمام السعدي رحمه الله تعالى – فيض الرحمن تفسير جواهر القرآن – المجلد ٢ – الصفحة ٣٨٠ – جامع الكتب الإسلامية.

٢ الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب | الصفحة أو الرقم: ٣١٦٦ | خلاصة حكم المحدث: صحيح.التخريج: أخرجه الترمذي (٢٤٦٦)، وابن ماجه (٤١٠٧)، وأحمد (٨٦٨١).

يَنشغِلُ عن ربِّهِ، فيكُونُ في كلِّ أحوالِهِ وأعمالِهِ في طاعتِه، فلا تُلْهِيهِ تِجارةٌ أو بيعٌ عن ذِكرِ اللهِ وفَرائضِهِ. ثمَّ بيَّن سُبحانَه وتَعالى ما يُعطيهِ لفاعِلِ ذلك: «أَمْلأْ صَدْرَك غِنًى"، والمُرادُ بالغِنى: غِنى النَّفْسِ والرِّضا بما قَسَمهُ اللهُ، ويحصلُ في قلبِهِ قَناعَةٌ تامَّةٌ، "وأَسُدَّ فقْرَك»، والمُرادُ أنَّه لا يَبْقى للفَقْرِ ضَرَرٌ، بل يُغْنيهِ اللهُ في نَفْسِهِ، ويُبارِكُ له في القليلِ من مالِه، "وإلَّا تفْعَلْ» يعني: وإنْ لم تفعَلْ ما أَمَرْتُك به من التَّفرُّغِ للطاعَةِ والعِبادَةِ، وآثَرْتَ الدُّنيا على الآخِرةِ «مَلأْتُ صَدْرَك شُغْلًا»، أي: كثَّرْتُ شُغْلَكَ بالدُّنيا، فظَلَلْتَ مُنشغِلًا بغَيرِ العِبادةِ، مُقبِلًا على الدُّنيا وأعمالِها وأشغالِها، ولا يَزالُ قلْبُك غيرَ راضٍ «، ولم أَسُدَّ فقْرَكَ»، فتُنزَعُ البَرَكةُ من مالِكَ، ويَبْقى القَلْبُ مُتلهِّفًا على الدُّنيا غيرَ بالِغٍ منها أمَلَهُ، فيَحرِمُكَ اللهُ مِن ثَوابِهِ وفَضلِهِ، وتَزيدُ تعَبًا في الدُّنيا دونَ شُعورٍ بالغِنى.[1]

الله! ما أجمل هذا النداء! تفرغ لعبادتي واترك ما يلهيك ويؤذيك وسأملأ قلبك غنى وراحة وأسد احتياجاتك.

١ شرح الحديث: «تفرغ لعبادتي»، موقع الموسوعة الحديثية الدرر السنية.

## حب المال غريزة فطرية

طبيعة الإنسان التي قرَّرها القرآن: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾ [الفجر: ٢٠]، فحب المال وحب تملُّكه غريزة فطرية، هو من فطرة الإنسان، ولهذا حِكَمٌ عظيمة حتى تكون معايش الناس، وتنمو هذه الأرض، ويكون ما يكون فيها من عمارتها، وجاءت الشريعة لتهذب هذه الغريزة (غريزة التملك)، وتجعلها في إطارها الصحيح، وهذا النص العظيم في قوله ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره في قلبه، ولم يأته من الدنيا إلا ما قسم له»، هذا النص النبوي قاعدة عظيمة ينبغي أن يستحضرها الواحد منا صباحَ مساءَ؛ حتى يوطِّن نفسَه على هذا المنهج العظيم، وينبغي أيضًا أن يتدارس هذه القاعدة وهذه السنة الإلهية مع أهله وأولاده، فإنه يعلم الإنسان، ويُبين له الطريق الصحيح في نيل مكارم هذه الدنيا، والفوز بالدار الآخرة، ورضا الرحمن سبحانه وتعالى.

## حَمْلُ همِّ الآخرة لا يعني الانعزال عن الدنيا

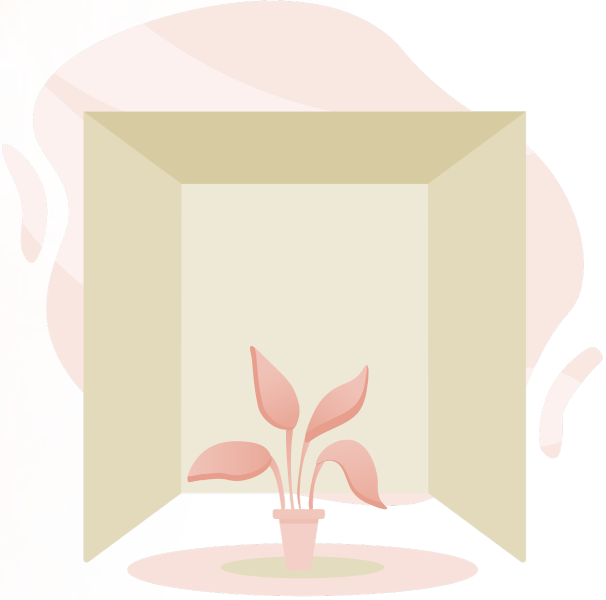

حَمْلُ همِّ الآخرة لا يعني انعزال العبد عن حياة الناس فيتْرُكُ إجَابَةَ الدَّعْوَةِ، ويهْجُرُ زِيارَةَ الصَّدِيقِ وَالْقَرِيبِ، وَيتَقَوْقَعُ فِي صَوْمَعَتِهِ ورَهْبَنَتِهِ، هَذَا تَصوُّرٌ خاطِئٌ قَاصِرٌ. بَلْ إِنَّ صَاحِبَ الْهَمِّ الْأُخْرَوِيِّ، يَجْتَهِدُ فِي صِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِجَابَةِ الدَّعْوَةِ، وَمُخَالَطَةِ النَّاسِ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ، وَيَسْعَى فِي إِصْلَاحِ مَا فَسَدَ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الْأَعْمَالَ دَرَجَاتٌ وَحَسَنَاتٌ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْآخِرَةِ.

ولكن بالنسبة للناس، لا تزاحمهم على معايشهم، ولا تصنع المشكلات في أمور هذه الحياة في علاقاتك معهم، كن سمحًا لينًا، كن لطيفًا متقربًا إليهم بما يحبون، حتى ولو ترتَّب على ذلك في بعض الأحيان غضُّ الطرف عن أخطائهم، وعما يكون من أحوالهم، حَمْلُ هَمِّ الْآخِرَةِ، لَا يَعْنِي أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ مُكْفَهِرَّ الْوَجْهِ، دَائِمَ الْعُبُوسِ؛ فَهَذَا قُدْوَتُنَا وَحَبِيبُنَا ﷺ أَعْظَمُ مَنْ اهْتَمَّ لِآخِرَتِهِ، كَانَ يُضَاحِكُ وَيُمَازِحُ، وَيُدَاعِبُ وَيُلَاعِبُ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَمِنْ مَأْثُورِ قَوْلِهِ: «إنَّ تبسُّمُك في وجهِ أخيك يُكْتَبُ لك به صدقةٌ ".[١]

١ الراوي: عبدالله بن عمر | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب | الصفحة أو الرقم: ٢٦٨٦.

فمن سار هذا المسار، وسلك هذا المسلك، أدرك هذا المطلب العظيم، وهو حُب الله وحُب الناس. فاعقد النية على العزيمة على الرشد، واسأل الله العون على الطاعة، واسأل الله من فضله، فلا حول لنا ولا قوة إلا به ﷻ .لا حول ولا قوة إلا بالله استغاثة بعزته، واستغاثة بقوته استغاثة بعظمته ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة: ٥]، الله الغني الذي بيده مفاتيح كل شيء، يعدك بالغنى، فهيا اعزم على الدخول إلى باب الله المفتوح فهناك السعادة الحقيقية، فاختر لنفسك مسلك الطمأنينة، مسلك الغنى العظيم، وهو التوكل على الرحمن الرحيم، فما استُجلِب الخير والطمأنينة القلبية والراحة النفسية بمثل التوكل على الله، فَرِّغْ قلبك من الهموم والمشاكل والهواجس التي تشتعل فيه بالاتجاه لله، اطلب منه الهداية والقرب وتذلل له، وَاشْكُ له ألمك وحزنك، وكل ما يؤذيك، اطلب منه أن ينير قلبك بنور الهداية حتى تضيء روحك التي أظلمت باتباع الهوى، والبعد عن الله وانشغلت بالدنيا وزينتها .ادع الله بقلب صادق مخلص يريد الخلاص من التعب الذي اكتنفه، وجثم عليه، فأثقله، وجعلك مشتتًا بين الاستمتاع مع الناس بالمعاصي والغفلة وبين السعادة الحقيقية في إرضاء رب الناس؛ ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣﴾[الملك: ١٣]. الله يعلم كل مخاوفك وآلامك وأحلامك وأمنياتك.

نَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يُحْيِيَ قُلُوبَنَا مِنْ غَفْلَتِهَا، وَأَنْ يُعْلِيَ هِمَمَنَا فِي طَاعَتِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ، وَمِمَّنْ سَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ؛ إِنَّهُ ﷻ نِعْمَ الْمُجِيبُ، وَنِعْمَ الْقَرِيبُ.

# المراجع:

حتى لا تتشعب الهموم– حسان أحمد العماري.

مجاوزة هموم الدنيا بطلب الآخرة – خالد بن عبد الرحمن الشايع.

هم الآخرة – ملتقى الخطباء – الفريق العلمي.